مميزات ومآثر الدولة الإسلامية

قبل الحديث عن الدولة العباسية بما لها أو عليها لابد أن نذكر مأثر الدولة الأموية وهى الدولة التى قامت سنة ٤١هـ، حتى ١٣٢هـ، والتى خلفت دولة الرسول ﷺ. ودولة الخلفاء الراشدين التى قامت بقيام الإسلام فوق جزء بسيط من شبه الجزيرة العربية، ولكنها ما لبثت أن امتدت واتسعت وبخاصة أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ثم الوليد بن عبد الملك حتى شملت أجزاء كبيرة من المشرق والمغرب هذه الدولة التى رسمت لنفسها صفحة من الفخار والمجد والعظمة فى التاريخ نظرا لكثير من الحسنات والمميزات وهى:

١ - الفتوحات الإسلامية:

يرجع الفضل لدولة الراشدين والدولة الأموية فى إقامة الفتوحات الإسلامية العظيمة حيث اتسعت حدودها شرقا إلى أواسط آسيا وغربا إلى المحيط الأطلسى، ففتحت بلاد الشام على يد خالد بن الوليد ومصر على يد عمرو بن العاص شمال أفريقيا والأندلس على يد عدد كبير من كبار قادة المسلمين أمثال عقبة بن نافع، حسان بن النعمان، وموسى بن نصير وغيرهم.. كما تم فتح بلاد ما وراء النهر على يد قتيبة بن مسلم الباهلى، ومنطقة السند فى شمال غرب الهند على يد محمد بن القاسم.

٢ - إصباغ الدولة بالصبغة العربية:

انتشر العرب خارج شبه الجزيرة العربية فى البلاد المفتوحة فصبغوا تلك البلاد بالصبغة العربية لكثرة القبائل التى هاجرت إليها بعادتها وتقاليدها، خاصة بعد أن اهتمت الأموية بالعرب.

٣ - التعريب:

من المعروف أن الخليفة عمر بن الخطاب قد ترك إدارة البلاد المفتوحة فى يد أهلها رغم عدم دخولهم فى الإسلام لأنهم أعلم الناس بها، كما أبقى على تحرير

وكتابة الدواوين بلغة أهلها فديوان الشام كتب بالرومانية وديوان العراق وفارس بالفارسية وديوان مصر بالقبطية، ولكن عبد الملك بن مروان أمر بتعريب الدواوين والعملة وجعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية للدولة مما أدى إلى تقوية الحكم العربى، وانتشار اللغة العربية.

٤ - تدوين الحديث النبوى الشريف:

حيث بدأ الاهتمام بكتابة السيرة النبوية والحديث النبوى الذى يعد المصدر الثانى للعقيدة الإسلامية بعد القرآن على يد رجال من أعظم علماء المسلمين، فقد أمر عمر بن عبد العزيز بجمع الأحاديث وتدوينها ودراستها وتفسيرها مما أدى إلى انتشار اللغة العربية بين المسلمين من غير العرب.

ولكن ما هى الأسباب التى عجلت بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية؟

العوامل التى عجلت بسقوط الدولة الأموية ونجاح وقيام الدعوة العباسية هى:

١ - الحالة الاجتماعية للموالى وظلم بعض خلفاء وولاة بنى أمية لهم:

الموالى هم المسلمون من غير العرب من الفرس والروم والحبش والأتراك والمصريين وغيرهم من الذين دخلوا فى الإسلام، وعندما تغلب العرب عليهم ارتفعت نفسية العرب خاصة فى العصر الأموى وتملكهم شعور بالسيادة وأخذوا يشعرون أن العربى خلق ليسود، وخلق غيره ليخدم، وتتمثل نظريتهم فى قول أحدهم عن الموالى (يكسحون طرقنا ويخرزون خفافنا ويحيكون ثيابنا).

واعتقد العرب أنهم هم الأشراف، وأن غيرهم لا حساب لهم حتى بعد إسلامهم إلا بعد أن يلحقوا ببعض القبائل العربية على أن يكونوا موالى لهم لأنهم كانوا ينظرون إلى الموالى على أنه عبد، ولم يحتقر العرب الموالى لجنسهم فقط بل لمهنهم، فالعرب يحترفون السياسة والحكم والحرب، بينما يشغل الموالى بالمهن

اليدوية كالزراعة والصناعة، وكان بعض خلفاء وولاة الدولة الأموية قد زادوا فى ظلم الموالى فاستخدمومهم فى الأعمال الكتابية وأبعدوهم عن الوظائف النبيلة، فلما ولى سعيد بن جبير القضاء بالكوفة غضب العرب وقالوا لا يصلح للقضاء إلا عربى. وكان سعيد رضى الله عنه من الموالى وكانوا يستخدمون فى الحروب مشاة، وحرموهم من ثمرات البلاد المفتوحة،وحرموهم من العطاء، ومنحوهم الشىء القليل من الغنائم والفىء.

وكان الموالى محتقرين فى المجتمع، فلا يخاطبهم العرب بالكنية أو اللقب، وكانوا يقولون لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة (حمار أو كلب أو مولى)، بل أبقوا الجزية على من أسلم منهم، ومنع عمر بن العزيز ذلك عندما قال أن الله قد بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا.

كما منع العرب التزاوج مع الموالى فقد جلد وإلى المدينة الأموى مولى تزوج من بن سليم وفرق بينه وبين زوجته وضربه مائتى جلدة، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه وقد امتد احتقارهم إلى أولاد الإماء ويسمون ابن الأمة الهجين وقالوا لا تصلح لهم العرب.

ولذلك سخط الموالى على الأمويين فى خراسان ومصر وبلاد المغرب وغيرها من البلاد المفتوحة، فأنخرط الموالى فى أى دعوة للمساواة التى علمها لهم الإسلام فدخلوا فيه لأنه لا يفرق بين أسود ولا أبيض ولا أعجمى إلا بالتقوى، وكان ذلك سببا فى دخول أهل خراسان فى الدعوة العباسية التى قامت على المساواة والعدل والإخاء.

ولكن يجب أن نقرر أن هذه النظرة كانت سائدة فى الأوساط الرسمية وبين القبائل والأعراب، أما الأوساط العلمية والدينية فكانت تنظر إلى الموالى بعين المساواة.

٢ - كثرة الأحزاب فى أواخر العصر الأموى:

مثل أهل السنة والشيعة الذين قرروا أن تكون الخلافة فى بيت على رضى الله عنه وأولاده بالوراثة من بعده، وقال الغلاة منهم أن الأئمة معصومين،

والسبئية نسبة إلى عبد الله بن سبأ اليهودى، والخوارج الذين كانوا بالأمس من أشياع على بن أبى طالب، ثم خرجوا عليه بعد التحكم فى صفين سنة ٤٠هـ، الذين كانوا يعتقدون أن الخلافة حق لكل مسلم حر. ثم المرجئة الذين ظهروا فى دمشق والذين خالفوا الخوارج فى تكفيرهم الخلفاء الثلاثة عثمان وعلى ومعاوية ذاهبين إلى القول أن كل من أمن بوحدانية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر، وأن ذلك موكول إلى الله وحده يوم القيامة، مهما كانت الذنوب التى اقترفها، والمبادئ السياسية التى يدين بها، فهم يرجئون الحكم على إخوانهم فى الدين إلى الله وحدة الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور. ثم المعتزلة أو القدرية التى تكلمت عن شروط الإمام وأطلقوا على حكامهم وفقهائهم لقب الأئمة التى كانت الشيعة تطلقه على فقهائها. وقد انشغل خلفاء بنى أمية فى محاربة هذه الفرق والأحزاب أو تأييدها، فقد خرج الخوارج فى المشرق والمغرب وقالوا لا حكم إلا لله مما كان سببا فى زوال الدولة الأموية.

٣ - انقسام بنى أمية على أنفسهم:

والمنافسة بينهم، وكثرة الخلافات الموجودة بين المتأخرين منهم وتطلعهم إلى الخلافة جعلهم لا يفكرون فى بنى العباس ولا فى نشاط دعوتهم، وكان أكبر همهم انصرافهم إلى مطامعهم وخلافتهم.

٤ - قصر مدة أواخر الخلفاء الأمويين فى الحكم:

حيث لا تزد مدة حكم الخليفة اليزيد بن الوليد على ستة أشهر.

٥ - تولية العهد لأكثر من واحد:

مما بذر بذور الشقاق والمنافسة بين أفراد البيت الأموى حتى قبل الخلافة فى عهد بنى أمية تحولت على ملك استبدادى يعتمد على نظام التوريث، وبذلك خرجوا عن حكم الدولة الإسلامية القائم على الشورى، والذى ساد طوال عهد الراشدين وكان لهذا الساسة أثرها فى ضعف الأمويين فلم يكد الأمر يتم لأحد أبناء الخليفة المتوفى حتى يعمل على إقصاء الآخر عن ولاية العهد وإحلال أحد أولاده مكانه.

٦ - العصبية القبلية فى الأمصار والجيش:

عمل رسول الله ﷺ على إزالة العصبية القبلية والشعور القبلى وإحلال الوحدة الإسلامية محلها فاجتمعت القبائل العربية تحت لواء الإسلام ودانت له بالطاعة واستمر ذلك طوال عصر الراشدين، إلا أن روح العصبية فد بعثت من جديد بعد وفاة يزيد بن معاوية حيث تفككت وحدة العرب بالشام، حينما مال بنو أمية إلى عرب الجنوب ضد الشمال، وتعتبر معركة مرج راهط سنة ٦٥هـ صراع بين عرب الشام وعرب اليمن مما أدى إلى أذكاء نار العصبية بين قبائل العرب فى خراسان التى كانت مهد الدعوة العباسية، وقد أضعفت العصبية القبلية الجيش الأموى وأذنت بزوال دولته، حيث كان الجيش خليطا من قبائل العرب.

٧ - ثورات العلويين ضد الأمويين:

قتل معظم العلويين فى كربلاء، فانتصر بنو أمية على بنو هاشم، ولكن أصبحت البقية الباقية من العلويين مقدسه، فقام المختار بن يوسف مناديا بثأر آل البيت، وداعيا إلى محمد بن الحنفية فعرف أنصاره بالتوابين.

٨ - ضياع هيبة أواخر حكام بنو أمية:

فى أعين الناس بسب تطاول بعضهم على بعض.

٩ - إخفاء أمر الدعوة العباسية:

وشخص المدعو إليه فى شعار الرضا لآل محمد دون تحديد شخص المدعو إليه هل هو علوى أم عباسى؟

١٠ - اختيار خراسان كمقر للدعوة العباسية:

لبعدها من ناحية ووجود عصابية كبيرة من الفرس الموالى الذين انضموا للدعوة، حيث كانت خراسان بركان من العصبية القبلية انفجر بفضل أعمال أبو مسلم الخراسانى.

النسب العباسى:

تنسب الدولة العباسية إلى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، ومن صلب ولده عبد الله بن عباس جاءت سلسلة خلفاء هذه الدولة.

وعبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جد الرسول ﷺ بقى عقبة فى كثير من أولادة ولكن العدد الأكبر كان من ولديه العباس وأبى طالب فقد ملا بنوهما السهول والأودية والأمصار الإسلامية من أقصى المغرب إلى بلاد ما وراء النهر فى أواسط آسيا.

• العباس بن عبد المطلب بن هاشم:

أمه نتيلة بنت جناب بن كليب إحدى قبائل ربيعة ولد قبل حادث الفيل بثلاث سنوات فهو أسن من رسول الله ﷺ بثلاث سنين.

كان العباس من سادات بنى هاشم وعقلائهم، وكان صديقا ووفيا لأبى سفيان بن حرب ولما جاء الإسلام كان من المخلصين لرسول الله ﷺ وإن لم يظهر مبايعته، وكان هو الذى أحكم الأمر لرسول الله ﷺ عند مبايعة الأنصار له فى بيعته العقبة الثانية حين الهجرة.

ولقد خرج مع المشركين فى بدر سنة٢هـ وهو كاره ولذلك قال النبى ﷺ لأصحابه يوم بدر من لقى منكم العباس وطالبا وعقيلا ونوفل وأبو سفيان فلا تقتلوهم فإنهم خرجوا مكرهين، بل أن العباس كان فى جملة أسرى بدر ففدى نفسه، وفدى عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثم رجع وأقام بمكة.

وكان مقامه بمكة ضرورة، فقد كان يتسمع أخبار المشركين ويكتبها لرسول الله ﷺ وكان يتقوى به المؤمنين فى مكة، وكان لهم عونا على إسلامهم، وكان قد طلب الهجرة بعد إسلامه، ولكن النبى عليه السلام كتب إليه بالبقاء فى مكة فمقامه فيها (جهاد). ولكنه هاجر إلى المدينة قبيل الفتح وحضر فتح مكة فى رمضان سنة٨هـ، وكان سببا فى نجاة أبى سفيان بن حرب وفى تشريفه بقول رسول

الله ﷺ (من دخل دار أبى سفيان فهو أمن) وحضر غزوة حنين وكان له فيها بلاء حسن، ثم خرج إلى المدينة فأقام بها.

وكان رسول الله ﷺ يحبه ويكرمه، وعلى ذلك جرى الخلفاء من بعده وكانت وفاته فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة ٣٢هـ وله ٨٨سنة ودفن بالبقيع.

• عقبه وأولاده:

وأعقب من الولد الفضل وهو اكبر أولاده به كان يكنى وعبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن وغيرهم أولادا وبناتا، وعبد الله ابنه الثانى جاء من صلبه وعقبه خلفاء الدولة العباسية.

• عبد الله بن عباس:

هو ثانى ولد العباس بن عبد المطلب، ولد قبل الهجرة بسنتين فكانت سنة حين وفاة رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة، وكان المصطفى عليه السلام يحبه ودعا له فقال: "اللهم علمه التأويل" فكان رضى الله عنه أعلم الناس بآيات القرآن وتأويلها والفقه فى الدين، وكان عمر رضى الله عنه يحبه ويدخله مع كبار الصحابة فى مجلس شواره الخاصة ويستفتيه فى كثير من المسائل على صغر سنه وولا عثمان موسم الحج سنة٣٥هـ وهو محصور فقام بالحج خير قيام، ولما بويع على رضى الله عنه بالخلافة كان له عضدا وسندا ونصيرا فى حروبه كلها فولاه البصرة وأعمالها، ولكنه اعتزل الحكم ورحل إلى الطائف التى ظل بها مقيما طوال حياة معاوية كلها، وكان معاوية يحبه ويتودد إليه كثيرا كما كان يفعل مع سائر بنى هاشم، وتوفى سنة ٦٨هـ.

ومن نسله جاء البيت العباسى لأن أخوته لم يكن لهم نسل باق، وعقبه الذى نما جاء من ولده على بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهم.

• على بن عبد الله بن العباس:

أمه زرعة بن مشرح من معد يكرب من كندا، ولد ليلة قتل على بن أبى طالب كرم الله وجهه سنة ٤٠هـ فسمى باسمه وكنى بكنيته أبى الحسن، وهو أصغر

أولاد أبيه، وكان سيدا وشريفا ويقال كان أجمل قرشى على وجه الأرض وأكثرهم صلاة وكان مفرطا فى الطول إذا طاف فكأنما الناس مشاة حوله وهو راكبا من طوله وقد أقطعه بنو أمية قرية اسمها الحميمة بالشراة (بشرق الأردن حاليا) فأقام بها وفيها أنحاء أكثر أولاده وكانت وفاته سنة ١١٧هـ.

وأعقب على اثنين وعشرين ولدا ذكرا وإحدى عشرة أنثى. ومنهم انتشر البيت العباسى وكثر جدا وورثه ابنه محمد أكبر أبناؤه الذى كانت الخلافة فى أولاده.

• محمد بن على بن العباس:

أكبر أولاد على بن محمد عبد الله بن العباس، وهو الذى ابتدأت الدعوة العباسية على يديه، وكان ذلك فى حياة أبيه على، ولكن لم يكن لأبيه على ذكر فى هذه الدعوة.

• إبراهيم الإمام:

ابن محمد بن على بن العباس وأخو أبو العباس السفاح أول خلفاء الدولة العباسية وأبو جعفر المنصور مؤسسها الحقيقى وهو مبدأ هذه الخلافة التى استمرت تحكم العلام الإسلامى قرابة ستة قرون من الزمان سنة١٣٢ - ٦٥٦هـ/ ٧٥٠ - ١٢٥٨م حتى سقطت على يد المغول.

ولكن السؤال المطروح هل طمع العباس وأولاده فى الخلافة؟

رغم أنهم أقرب نسب إلى رسول الله ﷺ؟

كان العباس عند وفاة المصطفى عليه السلام، واختيار أبو بكر خليفة للمسلمين هو أسن بنو هاشم وأكبرهم، ولكنه لم يطالب بالخلافة، فقد كان دائما مؤيدا للدعوة الإسلامية. وأنه لم يحمل لها الحقد مثل غيره من أعمام النبى عليه السلام كأبى لهب، بل كان خير سند لها كما مرينا.

ولم يظهر العباس طمعا فى خلافة النبى عليه السلام، بل أقبل بعد موته على أخيه على وقال له: ابسط يدك لنبايعك" فرفض على كرم الله وجهه لانشغاله بدفن النبى عليه السلام.

كان عمر ينظر إليه على أنه رأس أسرة النبى عليه السلام ففرض له فى ديوان العطاء وبدأ به، حتى أنه كان يستعين بدعاء العباس عند انقطاع المطر.

ولم يكن عبد الله بن العباس هو الأخر طامعا فى الخلافة، فاعتزل فتنه عثمان وأقام بمكة واهتم بجمع الحديث حتى نبغ فيه، ورفض مبايعة بن الزبير فى مكة عند ثورته ضد الأمويين كذلك لم يسع على محمد عبد الله بن العباس إلى الخلافة وهو الذى ولد فى الليلة التى قتل فيها على كرم الله وجهه، وقد أقام بالحميمة كما مر بنا، ربما بأمر من الأمويين ليكون تحت رقابتهم إلى وقت وفاته فى سنة ١١٨هـ/ ٧٣٦م.

ولكن كيف انقلب الأمر؟ وأصبح بنو العباس لهم دولة؟ وبمعنى أخر كيف انتقلت الدعوة إلى بنى العباس؟ وكيف قامت الدولة العباسية؟

توفى رسول الله ﷺ ولم يؤثر عنه خبر فيمن يتولى خلافة المسلمين بعده لأنه عليه السلام كان قد ترك الأمر شورى بناء على أمر الله تعالى (وشاورهم فى الأمر) (وأمرهم شورى بينهم)، وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قد أشار على، على كرم الله وجهه أن يدخل على رسول الله عليه السلام، وهو مريض فيسأله عن الخلافة بعده فإن كانت فيهم وإلا أوصى بهم من سيكون الخليفة فأمتنع على رضى الله عنه.

وفى سقيفة بنى ساعده اجتمع الأنصار ليختاروا من بينهم من يخلف المصطفى عليه السلام، ولكن ارتضى المسلمون مبايعة أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعد المناظرات التى جرت بين المهاجرين والأنصار، مع وجود فئة قليلة تميل إلى أن تكون الخلافة فى بنى هاشم رهط النبى عليه السلام الذين لم يكن منهم من أعمامه سوى العباس أسن بنى هاشم، وابن عمه على بن أبى طالب كرم الله وجهه، ولكنه بايع أبو بكر بالخلافة وعمر وعثمان الذى توفى العباس فى عهده سنة٣٢هـ.

وتولى على الخلافة بعد مقتل بن عفان فى الفتنة سنة ٣٥هـ، وأمضى على رحمه الله حياته فى حروب مخالفية فى البصرة والنهروان إلى أن تم اغتياله سنة ٤٠هـ على يد أحد الخوارج فى الكوفة.

وانتقلت الخلافة إلى ابنه الحسن رضى الله عنه الذى ارتضى التنازل عنها لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه سنة٤١هـ فى عام الجماعة، مفضلا جمع كلمة المسلمين والسكن بطيبة رسول الله ﷺ، وأقام على ذلك حتى توفى سنة ٥٠هـ.

وظل معاوية يسوس الناس بما عرف عنه من لين العريكة وسخاوة اليد، فاجتمعت الأمة على طاعته والرضا به، وسكنت الدعوة إلى أهل البيت، وخبت نار التشيع إلا أنها كانت مستكينة فى أنفس ذويها ينتظرون الوقت الملائم للهبوب.

ولكن معاوية اختار ابنه اليزيد وليا لعهده، فهب أعاصير الفتنة فى مكة والمدينة والكوفة فثار الحسين بن على فى المدينة، وعبد الله بن الزبير فى مكة طالبا الخلافة لنفسه، وثارت المدينة تطلب عزل اليزيد من ولاية العهد.

وأرسل أهل الكوفة إلى الحسين يطلبون إليه المجئ عليهم لمبايعته وينتزعوا من أعناقهم بيعة اليزيد فلبى الحسين الدعوة. ولكن خذله أهل الكوفة لعادتهم وحدثت مأساة كربلاء وقتل الحسين رحمه الله.

مما ترتب عليها نتائج فى غاية الأهمية أهمها المطالبة بدمه، حيث قامت ثورات مثل ثورة المختار الثقفى الذى ذهب إلى الكوفة مطالبا بدم الحسين ولكنها فشلت واختلفت شيعة الحسن والحسين فى أمر الثأر له حتى انتقلت الدعوة منهم إلى بنى العباس.

بنو هاشم واتحاد كلمتهم للقضاء على بنى أمية:

أثار قتل الحسين فى كربلاء حماسة المسلمين فتوحدت صفوف الشيعة وزادت دعوتهم لآل على قوة، واشتد العداء بين الأمويين والعلويين الذين أثاروا الفتنة والثورات فى الولايات الإسلامية.

وتزعم ثورات الشيعة المختار بن عبيد الله الثقفى الذى ظهر الكيسانية بعده، وهى فرقة شيعية مغالبة فى اعتقادها بإحاطة الأئمة بالعلوم الإلهية، فتذهب إلى محمد بن الحنفية قد أحاط بالعلوم كلها ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل

حتى قال بعضهم أن طاعة ذلك الرجل تبطل ضرورة التمسك بقواعد الإسلام كما أبطلوا الاجتهاد فى الأحكام.

ومن الكيسانية تفرغت الهاشمية القائلون بانتقال الإمامة من محمد بن الحنفية إلى ابنه أبى هاشم (عبد الله) إذ أن محمدا أطلع ابنه على أسرار العلوم والحكم. علمه التأويل وعلم الباطن، وقالوا أن لكل ظاهرا باطنا ولكل تنزيل تأويل، وقد ساعد تطرف الهاشمية فى التأويل على تسرب كثير من الأراء غير الإسلامية إليهم وعلى دخول كل من أسلم لطمع أو خوف فى صفوفهم.

ولكن الأئمة من الهاشمية تبرأوا من ادعاءات المغاليين لمحمد بن الحنفية، لكن ابنه أبو هاشم الذى دفعه طموحه إلى الاستفادة من الصراع مع بنى أمية، هو أول من نظم الدعوة وشجع شعور التقديس للإمارة والآراء المتعلقة بالتأويل، وقام بأمر الشيعة حيث كانوا يأتونه ويقوم ويؤدون إليه الخراج.

انتقال حق الإمامة والدعوة إلى بنى العباس:

تذكر المصادر إلى أنه فى ٩٨هـ استدعى الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك (أبا هاشم بن عبد الله) وأكرم وفادته، واظهر التودد له، ولكن لما رأى الخليفة علمه وفصاحته خافه، فدس له السم فى اللبن، ولما شربه أبو هاشم وأحس بدنو أجله قصد الحميمة، وكان بها (محمد بن على بن عبد الله بن العباس) فأوصى له، ودفع إليه كتبه وصرفه الشيعة نحوه - وسلم إليه كتب الدعاة)، وتوفى أبو هاشم فى نفس العام بعد أن أمد محمد بن على العباس بأسماء داعى دعاته فى الكوفة ومن يليه من الدعاة، كما سلمه رسائل يقدمها إليهم.

وبذلك تحول حق الإمامة من العلويين إلى العباسيين بسهولة ويسر، وهنا يحس بنا أن نسأل: لماذا عدل "أبو هاشم" عن أهل بيته من العلويين وحول حقه إلى بنى عمه من العباسيين الذين كانوا حتى هذا الوقت خارجين عن النزاع العلوى الأموى؟

وللإجابة على هذا السؤال تدور فى الأسباب الآتية؟

١) كانت العلاقة بين بنى هاشم علويين وعباسيين، تقوم على الود والصفاء حتى هذه اللحظة، وكان كلاهما متحدا على العدو المشترك وهو بنى أمية، ولم يرشح المسلمون أحدا من بنى هاشم إلا على بن أبى طالب وأولاده، ولم يتجه النظر إلى العباس إلا أنه لم يكن من السابقين إلى الإسلام، ولم يرشح للخلافة هو وأولاده من بعده، وقيل أن أبا سفيان بن حرب جاء العباس بعد بيعة أبى بكر فقال له (ابسط يدك وأبايعك، فرفض العباس) فاطمئن العلويون.

٢) اذهب الموت جيلا من العلويين حيث إن الإمام على السجاد زين العابدين فد توفى فى المدينة سنة٩٢هـ وكان ابناه محمد الباقر وزيد لا يزالان فى أول شبابهما غير ظاهرين، على حين لم يعقب أبو هاشم عبد الله من بعده من يخلفه.

٣) كان العباسيون فى أواخر القرن الأول الهجرى بفضل علم عبد الله بن العباس وانتشاره على يد عكرمة تلميذة الذى نشره فى المشرق، قد نالوا احترام الناس لقرابتهم من بيت الإمام على ومن "رسول الله ﷺ" كما أنهم أصبحوا أكثر كفاية ونشاطا من الناحية السياسية من العلويين، وأكثر تطلعا إلى النفوذ والسلطان.

٤) قيل أن أبو هاشم فعل ذلك لأنه لم يجد بين أفراد البيت العلوى من يستطيع النهوض بأعباء إمامة المسلمين.

٥) أن الناس لم يحتاجوا إلى أن يفرقوا يومئذ بين آل البيت؟ هل هم علويون أم عباسيون لأنهم نظروا إليهم جملة واحدة على أنهم كل متضامن لا ينازع أحدا منهم أحدا، وإن كانوا بيوتا مختلفة لكل يبت دوره ووجاهته.

٦) حاجة الدعوة إلى شيخ كبير مسن من آل البيت كمحمد بن على عبد الله العباس، على أن هناك مسألة جديرة بالملاحظة وهى أن نزول أبى

هاشم بن محمد عن الإمامة لبنى العباس لا يمكن أن يعتبر نزولا عن العلويين جميعا، لأن فريقا كبيرا منهم ظل متمسكا بعقائد الشيعة الأمامية، بدليل قيامهم فى وجه العباسيين بثورات عارمة بعد قيام دولتهم.

وهكذا صار محمد بن على بن العباس هو شيخ الدعوة للرضا من آل محمد القادر على أن يتكلم باسمهم دون أن ينازعه أحد ويشك فى نواياه، كان من الطبيعى أن ينظر آل البيت بعين الرضا لكل تنظيم يدعو للرضا لآل محمد والذى اتخذته العودة العباسية شعارا لها.

تنظيم الدعوة العباسية:

رأى الإمام محمد بن على العباس أن نقل السلطة من بيت إلى بيت لابد أن يسبقه أعداد الأفكار وتهيئها النفوس لهذا التغير، وأن كل محاولة فجائية قد تكون عاقبها الإخفاق، فرأى أن الأمر يحتاج إلى شدة الحيطة فطلب من شيعته أن يدعوا الناس إلى ولاية آل البيت دون تسمية أحد خوفا عليه من بنى أمية.

ولقد ورث محمد بن على الدعوة وهى أقوى الدعوات وأكثرها إيجابية وتنظيما، فمنذ أن قامت الدعوة لأبن الحنفية كانت قائمة على الستر والكتمان بإرسال الدعاة وجمع الزكاة ليوم الوثوب.

ولما تسلمها المختار وأظهرها، أعلنها حرب شعواء تدعوا إلى قتل آل أبى سليمان بن عبد الملك وهدم دمشق، فلما آلت الدعوة إلى محمد بن على أبقى على إيجابيتها وجعل هدفها القضاء على دولة بنى أمية وإعلان الخلافة فى بنى هاشم وذلك بالدعوة الغامضة للرضا من آل محمد دون أن يذكر الدعاة المقصود بالدعوة أهو من فرع العلويين أم العباسيين وان كان عليهم أن يبينوا فضلها وظلم بنى أمية وإشاعة أحاديث نبوية تؤيد ذلك.

كذلك استمر محمد بن على العباس فى إرسال الرجال والدعاة وكان أبو هاشم قد طلب منه ذلك، وطلب من الدعاة الطاعة له، فأصبحت الدعوة على يديه أكثر تنظيما واسعة النطاق على أكثر دعاية كبيرة بجعله لها مجلس يشرف

عليهـا يتكون من اثنى عشر نـقيبا. وسـبعون داعـيا وكان الدعـاة يذهبون فى ذى التجار والزهاد على أن يجـتمع بهم محمد بن علـى فى موسم الحج إذ يأتون إليه بالمال ويأخذون منه التعليمات والأوامر.

ومهما يكن من أمـر؟ فما هى الخطوات التى اتبعها العبـاسيون للوصول إلى غايتهم، أو بالأصح كيف نظم العباسيون الدعوة.

• يمكن تقسيم الدعوة العباسية إلى قسمين:

السرى - العلنى

الدعـوة السـرية: التى بدأت فى مـسـتـهل القـرن الثانـى الهجـرى حـتى سنة١٢٩هـ.

الدور العلنى للدعوة: بانضمـام أبو مسلم الخراسانى لهـا حتى سنة١٣٢هـ ٧٥٠م.

١) الدعوة السرية:

يعد محمد بن على بن عبد الله العباس أول الساعين من العباسيين للوصول إلى الخلافة، فقد بدأ بتنظيم الدعوة تنظيما سريا دقيقا وذلك بإرسال النقباء والدعاة والعمال، يتخفون فى ذى التجار وأصحاب المصالح ويدعو الناس فى سر وكتمان، وأرسلهم إلى الجهات البعـيدة التى يكثر فيها أعـداء الدولة الأموية والحاقدون على الأمويين بسبب سياسة التمايز بين مـا هو عربى ومن هو أعجمى. فاختار خراسان لتصبح هى الأرض الملائمة لزرع بذور الدعوة العباسية.

وهنا نطرح السؤال الآتى؟ لماذا اخـتار محـمد بن على خراسان ولم يخـتار الكوفة مقر التشييع أو البصرة وغيرها لتصبح مقرا للدعوة؟

يجيب محمـد بن على العباس بنفسه على هذا السـؤال فى رسالته إلى احد دعاته فيقول: "أما الكوفة وسوادها فشيعة على، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف تقول كونوا مع عثـمان المقتول ولا تكونوا مع عثمان القاتل، وأمـا الجزيرة فأعراب أعلاج، ومسلمون فى أخـلاق النصارى، وأما أهل الشام فلا يعرفون غـير معاوية

وطاعة بنى أمية، وعداوة راسخة وجهل متراكم، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر وعمر، فعليكم عليكم بخراسان، فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة، لم تتقسمها الأهواء، ولم تتوزعها النحل، وهو جنود لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وشوارب وأصوات هائلة، ولغات فخمة تخرج من أجسام منكرة، وبعد فإنى اتطلع إلى المشرق مطلع سراج الدنيا ومصباح الحق.

وهكذا بدأت الدعوة العباسية السرية من الحميمة التى اتخذها العباسيون مركزا لنشر دعوتهم فى البداية فى عهد عمر بن عبد العزيز ثم وجه محمد بن على بن العباس دعاته إلى الأمصار فعين مسيرة العبدى، وبكير بن ماهان وأبو سلمه الخلال دعاة فى العراق.

أما دعاة خراسان فأولهم أبو عكرمة السراج مولى بنى العباس وقد تجمع حوله خمسة نقباء، وكانوا نواة الدعوة فيها، ثم أرسل بكير من ماهان سنة١٠٨هـ إلى خراسان وفى سنة١١٨هـ، وأرسل بن ماهان محمد بن يزيد إلى خراسان ليرأس الدعوة فيها فبدل اسمه إلى (خداش) وسكن مرو فنجح نجاحا كبيرا، ولكنه انقلب على الدعوة فقبض عليه وقتل.

وترأس للدعوة فى خراسان من بعده سليمان بن كثير الخزاعى، ثم يتوفى محمد بن على العباس فى الأول، ذى القعدة سنة١٢٥هـ، وأوصى بالإمامة لابنه إبراهيم الذى لقب الأمام، والذى أرسل بكير ماهان إلى خراسان فجمع الأتباع وأخبرهم بوصية محمد وأعطاهم رسالة إبراهيم فاعترفوا به ودفعوا له ما جمعوه من الأموال للإمام. ثم عين أبو سلمه الخلال امر خراسان سنة ١٢٦هـ بعد وفاة بكر بن ماهان فانصاع الناس له.

النقباء:

يعتبر النقباء الكادر الثانى فى الدعوة العباسية، وكانوا يأتمرون بأمر الدعاة ولهم قدراتهم العسكرية والدعائية، ولم يكونوا يقلون عن الدعاة قيمة إنما كانوا يجهلون أمام الوقت، فقد كان العلم به سرا لا يعرفه إلا الدعاة فقط.

وكان لكل داعية اثنى عشر نقيبا، وكان النقباء تتبعهم درجات أقل فى مراتب الدعوة وهى العمل، وكان لكل نقيبا سبعون عاملا يديرون الجهاز السرى ويساعدون النقباء ثم يمضى التشكيل فى عمقة إلى أن ينتهى بالخلايا السرية التى كانت تندس فى جميع الأمصار الإسلامية.

شعارات الدعاية للثورة:

لكل دعوة أو مذهب شعارات خاصة تنادى بها وتجعلها رمزا يؤمن بضرورة تحقيقة وإذا قسنا الدولة العباسية بشعاراتها وبالفوائد التى حققتها هذه الشعارات لاعتبرنا الدعوة العباسية بشعاراتها وبالفوائد التى حققتها هذه الشعارات لاعتبرنا الدعوة العباسية من أكبر الثورات فى التاريخ العالمى. لأن هذه الشعارات مهمة فى فترة التحضير لنجاح الدعوة وهى السبب المباشر نجاح الدعوة العباسية، وبمعنى آخر لأنها ستحكم على العباسيين، هل أطلقوا الشعارات رغبة فى كسب الأنصار أم صدقوا ما وعدوا.

المساواة:

أول شعارات الدعوة المساواة بين الشعوب، وهو الشعار الذى ساهم إلى حد كبير فى نجاح الدعوة العباسية وانصف الشعوب المستعربة. واندمجت فى ظل دولة عربية إسلامية وصارت تتطلع إلى المساواة بعد الظلم الواقع عليها من بعض خلفاء وولاه بنى أمية، وهو الشعار الذى يعنى فى حضارتنا الإسلامية الراقية عدم التفرقة بين الناس بحسب ألوانهم أو دمائهم أو تاريخهم (لا فرق بين عربى وأعجمى أو أبيض أو أسود إلا بالتقوى). وهو مبدأ أساسى فى الشريعة الإسلامية، لأنه من القرآن الكريم والسنة الشريفة وإجماع الفقهاء.

(٢) الإمامة للرضا من آل محمد

كان هذا الشعار غامض غير محدد بتجديد أخر بالنسبة لعامة الناس، أما الخاصة فهم يعرفون رؤسائهم ولم يدعون آل البيت، والعامة والخاصة معا يريدون ألا تبقى الإمامة فى أمية والشعار ينادى بضرورة نقل الخلافة عنهم واعتبارهم مغتصبين

فقد حول الدعاة والنقباء أنظار النـاس إلى أن بنى أمية قد وقعوا فى الضلال والفسق وأن حكمهم (قهر وجبر وغلبة) حين حولوا الخلافة إلى ملك كما وجه آل محمد (عباس أو طالبين) الطعن إلى ولاة بنى أمية وسموهم ولاة الجور. ولكن لم يكن أحدا يتوقع أن يكون الفائزين من آل محمد هم بنو العباس

٣) الدعوة إلى الإصلاح:

الإصلاح أو الدعـوة إلى الكتاب والسنة كان من شعـارات الدعوة العباسـية العام، وهو أشـمل هذه الشعـارات، فالمسـاواة من مطالب رجال الفـقه اخـتلاف مذاهبهم وأجناسهم

وقد كانت الدعوة مرتبطة بالتمسك بالإسلام وأصوله لإقرار العدالة، بعد أن وقعت أحداث كثـيرة تركت آثار مريرة فى النفوس فى العصر الأمـوى مثل حصار الكعبة عـلى يد الحجاج وانتهاك حـرمة المدينة المنورة يوم الحرة ومقـتل العديد من أبناء الصحابة والتـابعين، وسفك دماء آل البيت فى كـربلاء وسياسة الجبـر والقهر والاستـبداد واضطهاد المعـارضة والابتعـاد عن سيرة السلف الصـالح وحب الترف واللهو وكثرة مظاهره، وكـثرة المذاهب وتصارعها والاعتماد على العـصبية مما أدى إلى تضافر الدعاة لنشر الدعوة انضمـوا تحت لواء أبو مسلم الخرسانى وبايعوه وقد جاءته الوفـود من مدن خراسـان كلها ومن القـرى الصغرى ومن أهل الثـغور من كرمان وكابل وخوارزم وجرجان والديلم، وأهل ما وراء النهر وأهل طخارستان بل آمن العرب بهذه الدعوة ودخلت فيها قـبائل عربية مثل خزاعة وطئ وبكر بن وائل وتغلب وتميم، وهكذا انتشرت الدعوة فى العـالم الإسلامى كله ولكنها تركزت فى إيران بعامة وفى خراسان بخاصة.

وكانت الكوفـة مركز الدعوة الأول ومـقر الإمام، ولكن الدعـاة كلهم كانوا موالى إيرانيـين من الباعـة وأصحاب الحوانـيت ويعتبـر خداش المؤسس الحقـيقى للحزب العباسى فى مرو بخراسان قـبل أبو مسلم وكان للدعاة والنقباء أساليب فى الدعوة منها:

١ - قال محمد بن على لدعائه (انطلقوا أيها النقر فأدعوا الناس فى رفق وستر) فكان الدعاة يجوبون خراسان ظاهر أمرهم التجارة ويراسلوا الإمام فى الحميمة بوساطة الكوفة، أو يجتمعون به وقت الحج.

٢ - الستر: حاول الدعاة ستر دعوتهم بكل وسيلة، فلما قبض أسد بن عبد الله القسرى الوالى الأموى على خراسان (١١٧هـ/ على جماعة منهم سليمان بن كثير الخزاعى، قال سليمان للأمير (أنا من قومك اليمانية، وأن هؤلاء المضرية تعصبوا علينا، فخلى سبيلة) وهكذا ضرب سليمان على وتر العصبية القبلية حتى يكسب ود الوالى.

٣ - التبشير فى المناطق التى كان العداء فيها للأمويين بالغا منتهاه مثل خراسان وما وراء النهر حيث كان التذمر المالى والاجتماعى شديدا فيها.

٤ - جذب الشيعة العلويين وعدم الظهور للناس كمدعين للملك. بل كوسيلة للثورة التى يريدها الله، فلم تكن البيعة تؤخذ باسم العباسيين بل لشخص غير معين من آل البيت اتفق عليه فيما بعد وتجنبوا كل ما يبين أنهم قاموا لأخذ محل العلويين. بل أنهم أعلموا أنهم جاءوا لأخذ ثار من استشهد منهم.

ولنرجع إلى سير الدعوة السرية، فقد توسعت الدعوة وانتشرت واضطربت أحوال خراسان، واستوجبت ذلك الاتصال بالإمام مباشرة بواسطة أحد ثقاته، والسيطرة على الوضع، كما تحتم وجود رجل قوى على رأس الدعوة فكان اختيار أبو مسلم الخراسانى سنة١٢٨هـ ليكون ممثل الإمام فى خراسان.

علانية الدعوة وقيام الدولة العباسية (١٢٩ - ١٣٢هـ)

هذه السنوات الأربع، فترة قصيرة زمنيا، عميقة تطورا وأحداثا بل هى من أهم السنوات فى تاريخ العباسيين، فقد خرجت الدعوة من الستر إلى العلانية، ووضحت فعاليتها وحان آوان الحكم لها أو عليها وبدأت شعارات الدعوة تمتحن صلابتها وقوتها، وقد كانت هذه السنوات الأربع حافلة بالنضال العنيف

والاشتباكات الدموية، وعمليات تصفية للأمويين ونفوذهم، وفيها ظهرت القوة الجديدة أعنى بها الفرس وسيطرتهم بدلا من العرب، وفيها تحولت الإمامة إلى خلافة، وظهر زيف شعار الدعوة للرضا من آل محمد ليحل محله الرضا من آل العباس. . . . ولكن كيف حدث ذلك لنرجع إلى الوراء قليلا؟

أبو مسلم يتزعم الدعوة العباسية فى المشرق:

كانت سنة١٢٧هـ سنة حرجة فى تاريخ الدعوة العباسية فى الشرق، حيث تكون للشيعة بخراسان تنظيم استقل عن العباسيين وتفاقم خطره برئاسة خداش الذى تساهل فى أمر الدين وكانت رئاسة الدعوة فى خراسان لا تريد أن تخضع لرئاسة الكوفة أو تأتمر بأمرها، وقد خشى العباسيون أن يفلت الأمر من أيديهم فى خراسان، ولكن موت محمد بن على بن العباس سنة١٢٧هـ والذى كان يؤلف قلوب هؤلاء جميعا قد سبب نوعا من الخوف لخلفه ابنه إبراهيم بن محمد الملقب بالإمام والذى بدأ يتخذ الخطوة الحاسمة للسيطرة على الموقف فى خراسان سيطرة تامة، فوضع اللبنة الأولى فى صرح الدولة العباسية، وذلك عن طريق اختياره أبى مسلم الخراسانى رئيسا ليصبح له أمر الدعوة فى خراسان.

وأصبح أبو مسلم رئيسا للدعوة، ووجدت فيه الجماعة الخراسانية أنه هو الخراسانى الذى يرضى طموحا ويحقق أحلامها وكان اختياره موقفا وقد أوصاه الإمام إبراهيم بطاعة سليمان بن كثير ولا يخالفه أو يعصيه وأن يرجع إليه، واستطاع أبو مسلم الخراسانى بما أوتى من كفايات مهارة وذكاء أن يكون الداعية العباسى فى الشرق كله أو بمعنى أخر هو العمود الفقرى الذى قامت عليه الدولة العباسية فمن هو أبو مسلم الخرسانى هذا؟

يكتنف شخصية أبو مسلم الغموض، ونسبه مختلف فيه؟ فيذكر الفخرى أنه مولى ولد بأصفهان ونشأ بالكوفة وقيل انه كان حرا اسمه إبراهيم بن عثمان ويكنى أبا إسحاق، وانه ينتسب إلى برز جمهرا. ولما اتصل بإبراهيم الإمام أمره بتغيير اسمه وقال له "لا يتم الأمر إلا بذلك كما وجدته فى الكتب فسماه عبد الرحمن بن مسلم وكناه أبو مسلم وزوجة امرأة من طئ كانت تقتم مع أبيها فى خراسان.

وقيل فى سبب اتصال أبى مسلم بإبراهيم الإمام أن سليمان بن كثير أحد النقباء وغيره من النقباء تركوا خراسان سنة ١٢٤ متظاهرين بالحج إلى مكة. فلما دخلوا الكوفة أتو إلى عاصم بن يونس العجلى، وكان قداتهم بالدعوة العباسية. فحبسوه هو وعيسى بن إدريس ابنى معقل العجلى، وكان أبو مسلم يقوم بخدمة ابنى العجلى، ولما رأى سليمان بن كثير ومن معه أبى مسلم توسموا فيه ذكاء عقله وحسن تصرفه، وجودة ذهنه وحسن منطقه فأخذوه وقدموه للإمام.

وقد قيل أن أبى مسلم لما قوى أمره ادعى أنه من ولد سليط بن العباس وكانت لسليط هذا جاريه أدعى ابنها من ولد عبد الله بن العباس ولما مات سليط نازع ورثته فى ميراثه فسر بنو أمية ليتخذوا من ذلك سببا للحط من شأن على بن عبد الله بن العباس فأعانوه، وقضى له القاضى فى دمشق بالميراث ولما قويت شوكة أبى مسلم ادعى أنه من ولد سليط بن العباس. وكان من مناقم أبو جعفر المنصور عليه فيما بعد وسببا فى قتله على يديه.

وقيل أن أبا مسلم كان من الرقيق وأن اتصاله ببنى العباس يرجع إلى بكير بن ماهان داعى العباسيين.

على أية حال فإن سنة ١٢٨هـ كان بداية تسلم أبو مسلم الخراسانى مقاليد الأمور فى خراسان، وكان من أسباب سقوط دولة بنى أمية ونجاح وقيام الدولة العباسية بتأجيج نيران العصبية بين اليمانية والقيسية وقد ظل أبو مسلم فى خراسان إلى أن كتب إبراهيم الإمام إلى أبى سلمه الخلال داعية العباسيين فى الكوفة، يعلمه أه أرسل أبى مسلم إلى خراسان وأنه أمر أهلها بالسمع والطاعة له.

وكتب الإمام إلى مسلم كتابا يقول فيه (يا عبد الرحمن إنك رجل منا أهل البيت احفظ وصيتى، انظر إلى هذا الحى من اليمن، فألزمهم ولكن بين أظهرهم فإن الله ليتم هذا الأمر إلا بهم وأنهم ربيعة فى أمرهم وأما مضر فأنهم العدو القريب الدار فأقتل من شككت فى أمره، ومن كان فى أمره شبهة ومن وقع فى نفسك منه شىء، وإن استطعت أن لا تدع بخراسان لسانا عربيا أو أحد يتكلم العربية فافعل، فأى غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله لا تخالف هذا الشيخ (يعنى سليمان من كثير) ولا تعصه وإذا أشكل عليك أمر فاكتفى به منى).

ويقال أن هـذا الكتاب وصل إلى أبى مـسلم، ففـعل ما قالـه الإمام، وظل الإمام يراسله بمثل هـذا الكتاب حتى وقع أحـدها فى يد مروان بن محـمد١٢٨ - ١٣٢هـ أخر خلفاء الدولة الأموية فقبض على إبراهيم الإمام فسجنه وحبسه وقتله. وبذلك انكشف أمر الدعـوة فأعلنها أبو العـباس عبد الله بن الإمـام إبراهيم سريه والتى انتقـلت إليه الإمامـة فى الكوفة واختـفى مدة أربعـين يوما ثم ظهـر مطالبا بالإمامة واعتمد على أبى مسلم اعتمادا كليا.

وقد نجح أبو مسلم فى دعـوته، فقد (وافه فى يوم واحد. أهل سـتين قرية) بل إجابة جميـع أهل خراسان مستغلا العـصبية القبلية بين قـبائل العرب ورفع أبو مسـلم اللواء والراية اللذين بهمـا الإمام، ويدعى الأول الظل والـثانى السـحاب، ومعناها "أن خـلفاءه العبـاسيون يـظلون الأرض إلى أخر الدهر" وكان يـتلوا قوله تعالى "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير".

واتخذ أبو مـسلم السواد شعار له. فـعرف جيشـه بالمسودة نسبة إلى شـعار العبـاسييـن الأسود حزنا على الشـهداء من بنى هاشم، ونعـيا على بنى أمـية فى قتلهم، كذلك أمر بأن توقد النار وتضىء المشاعل الكبـيرة على قمم الجبال، فأخذ ينضم إليه أعداد كبيرة من الموالى.

انتصار العباسيين وقيام دولتهم سنة١٣٢هـ/٧٥٠م.

وقد ساعدت الاضطرابات التى انتشرت فى خراسان فى ذلك الحين أبا مسلم الخرسانى على تحقيق سياسته ففى عهد هشام بن عبد الملك اشتعلت نيران العصبية القبلية فى خـراسان فى عهد ولاية أسد بن عـبد الله القسرى وكـان يمانيا والذين أثرهم على غيرهم من العرب واسند إليهم المناصب، ثم تولى نصر بن سيار وكان مضربا فأقـضى اليمانيين. وأثار بذلك عوامل الشقاق بيـن هذين العنصرين فقامت الحروب بين العرب استغلها أبو مسلم أحسن استغلال لصالحه.

وعرف أبو مسلم بما أوتيه من الحذق والمهارة الحـربية. كيف يستفيد من ذلك الانقسـام الذى فرق كلمة العرب فى خـراسان خاصة فى أثناء الحـرب بين نصرين سيارن والكرمـانى كما استطاع أن يرابط بجيـشه سبعة أشهـر فى ظاهر مدينة مرو

قاعدة خـراسان، استمـال خلالها اليمانـية وضمهم إلى صفـوفه وبذلك تمكن من الاستيلاء على تلك البلاد دون أن يعرض جيشه للهزيمة.

وقد أدرك نصـر بن سيـار الوالى الأموى مـدى خطر الدعوة العـباسـية فى خراسان فأرسل إلى مروان بن محمد أخـر خلفاء بنى أمية كتابا يكشف له فيه عن قوة أبى مسلم وضعف الجند الأموى فى خراسان، ولكن مروان تعلل بانشغاله فى حروب أخرى، فعندئذ عمت الثورة خراسان والتى انتهت بزوال الدولة الأموية.

وبدأت الدعوة العباسية فى الانتشـار فدخل أبو مسلم مدن خراسان الواحدة تلو الأخرى وصـارت فى يده أرض خراسان كلها وقـتل الخوارج الذين اجتمـعوا على قتله، فلما رأى نصـر بن سيار ما فعله أبو مسلم خـرج هاربا إلى نيسابور ثم إلى الرى بعد أن لحقت به جيوش أبو مسلم بقيادة الداعية قحطبة بن شبيب، حيث توفى هناك (١٣٠هـ/ ٧٤٨م)، فـدانت بذلك سائر خـراسان لأبى مـسلم، وسك العملة بها اسم (أمين آل محمد) وعين عليها العمال.

بعد ذلك دخل الداعـية قحطبة نيسـابور ثم الرى ثم استولى على أصـفهان وقتل عامل مروان بن محمد عليها، ثم حارب فى نهاوند وفارس وأخيرا هزم يزيد بن هبيرة عامل الأمويين على العراق وسلم عـامل الكوفة المدينة إلى العباسيين فى أوائل سنة ١٣٢هـ، ودخل أبو العباس عبد الله الكوفة الذى بقى مـختفيا خارجها أربعين ليلة، بعد إلقـاء القبض على أخيه إبراهيم الإمام فى الحمـية وقتله، فأعلن أبو سلمه الخلال وزير آل مـحمد الخلافة فى أبو العباس عـبد الله وبايع له بها فى ربيع الثـانى سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م وقد سـمى باسم أميـر المؤمنين، وكان أخـوه أبو جعفر يأخذ له البيعة من الجند.

وفى واخر سنة ١٣٢هـ، خفق العلم الأسـود شعار العباسيـون فوق حصون دمشق، بعد أن هرب منها مروان من محمد أخر خلفاء بنى أمية، حيث أرسل أبو العبـاس خلفه عـمه عبـد الله بن على على رأس جيش بلغ تعـداده ثلاثين ألف، فالتقى مع جيش مروان بن محمـد على نهر الزاب الأعلى قرب الموصل فى معركة رهيبة استمرت يومين هزم فيهـا مروان بن محمد وغرق الكثير من جنده الذين بلغ عددهم ٣٠٠٠جندى و٣٠٠من بنى أمية.

أبو مسلم الخراسانى

اختلف المؤرخون فى نسب أبى مسلم الخراسانى، فقيل أنه كان حرا، واسمه إبراهيم بن عثمان بن بشار، وكنيته أبو إسحاق. ولد فى أصفهان، ونشأ بالكوفة حيث رحل إليها وهو ابن سبع سنوات. فلما اتصل بالإمام إبراهيم بن على طلب إيه أن يغير اسمه، لأن أمر الدعوة لن يتم إلا بهذا كما عرفه من الكتب فسمى نفسه عبد الرحمن وتكنى بأبى مسلم وقيل أن الذى سماه بهذا الاسم هو الإمام إبراهيم وكانت حرفة أبى مسلم صناعة السروج، وكان يبيعها فى أصفهان، والموصل، والجزيرة ونصيين وآمد وغيرها.

ويقال أن أبا مسلم كان من الرقيق، وكان يخدم عيسى بن معقل العجلى وأخاه إدريس، فابتاعه بكير بن ماهان داعى العباسيين منه بأربعمائة درهم وأرسل به الإمام إبراهيم، الذى أرسله بدوره إلى أبى موسى السراج حيث سمع منه العلم وحفظ عليه، ثم سار إلى خراسان فاستقر بها، ومنها كان يتردد على الإمام إبراهيم يتلقى نصائحه وتعليماته ثم يعود. وعندما بلغ أبو مسلم التاسعة عشرة زوجه الإمام إبراهيم بابنة عمران بن إسماعيل الطائى المعروف بأبى النجم، وكانت بخراسان مع أبيها. ومكث عند الإمام إبراهيم يقوم على خدمته، ويرسله من حين إلى أخر إلى خراسان ليتصل بمن يثق بهم من عصبيته من الخراسانيين حتى وثق الإمام إبراهيم به، وتأكد من أنه هو الشخصية التى يعتمد عليها فى دعوته، فزوده بتعليماته ونصائحه ووجهه سنة١٢٨هـ إلى خراسان للاستقرار بها، والاستعداد لنشر الدعوة فيها.

وفى سنة١٢٩هـ/ ٧٤٦م بعث الإمام إبراهيم بكتاب إلى أبى مسلم وبكتاب آخر إلى سليمان بن كثير الخزاعى فوصل الكتابان إلى أبى مسلم وهو فى مدينة قومس أثناء مسيره إلى الإمام إبراهيم. وكان مضمون الكتاب الموجه إلى أبى مسلم "أنى قد بعثت إليك براية النصر، فارجع من حيث ألقاك كتابى، وأبعث إلى قحطبة بما معك من أخبار يوافنى بها فى الموسم" فعاد أبو مسلم ومن معه من الدعاة وتوجهوا إلى خراسان فوصلوا عاصمتها مرو ليسلم الكتاب الثانى إلى سليمان بن كثير، فلما قرأه سليمان وجد تعليمات الإمام إبراهيم بأن يظهر الدعوة

ولا يتأخر فى إظهارها، ففعلوا ما أمروا به ولبسوا السواد شعار العباسيين، ورفعوا الرايات، فاجتمعت عليهم أهالى قرية سفيذنج التى نزل عليها أبو مسلم، وأهالى القرى المحيطة بها وتم ذلك فى الخامس والعشرين من رمضان سنة١٢٩هـ، ثم ما لبث أن تقاطر عليه الدعاة فى جموع هائلة ممن انتظموا فى الدعوة العباسية.

مارس أبو مسلم نشاطه كزعيم للخراسانيين وحين قوى أمره وصلب عوده وأصبحت له العصبية من الخراسانيين استغل حديثا كان قد وجهه إليه الإمام إبراهيم حيث قال له: "يا عبد الرحمن: إنك رجل منا أهل البيت" فادعى أنه من ولد سليط بن عبد الله بن العباس وشجعه على ذلك أن سليطا هذا كانت له جاريه ادعى ابنها أنه من ولد عبد الله بن عباس ولما توفى سليط نازع ابن الجارية ورثته فى الميراث ففرح بنوا أمية، واتخذوا من هذا الموضوع وسيلة وسببا للتعريض بعلى ابن عبد الله بن عباس والحط من شأنه، وساعدوا ابن الجارية حتى قضى له قاضى دمشق بالميراث. ويبدوا لى أن أبا مسلم من انتسابه إلى العباسيين أن يضفى على نفسه أصلا عربيا ويلحق نفسه بالنسب النبوى الشريف، حتى يكسب نفسه الشرعية الواجبة فى الحكم والخلافة، التى كان يطمع فى الوصول إليها، خاصة بعد أن قوى نفوذه، وازداد سلطانه وأصبحت له الكلمة الأولى والأخيرة فى خراسان فاستغل التعبير الذى كان قد قاله الإمام إبراهيم له (أنك رجل منا أهل البيت) وزعم لنفسه هذا النسب.

يرى بعض المؤرخون أن هذه الرواية التاريخية موضوعة، لأنه لاشك فى أن أبا مسلم مولى فارسى الأصل، كانت مهمته العمل على إسقاط الدول العربية (الأموية) وإحياء الدولة الفارسية فى ظل العباسيين. ويستدلون على ذلك أن الخليفة العباسى أبا جعفر المنصور حينما أراد أن يتخلص من أبى مسلم أخذ يعدد عليه أمورا ارتكبها، منها" وزعمت أنك من ولد سليط" وها يفسر لنا أن أبا مسلم اصطنع هذا النسب العربى لأغراض سياسية.

وعلى الرغم من وجاهة هذا الرأى، إلا أننى لا أريد مجاراة بعض المؤرخين فيها يقول من أن هذه الرواية موضوعة، وافترض أنها صحيحة، وقد قالها الإمام إبراهيم لأبى مسلم، ولكن ينبغى النظر بإمعان وتفكر إلى معناها الشائع، والمناسبة

التى قيلت فيها فمعناها لا يخرج عن مضمونها المعروف، وهو أن أبا مسلم أصبح ثقة عند الإمام إبراهيم، بعد ما أمضى لديه هذه المدة الطويلة فى خدمته ولا يزال هذا التعبير شائعا فى الشعوب العربية، يقوله الصديق للصديق تعبيرا عن شدة الألفة التى تربط بين الطرفين، بل يقال فى كثير جدا من الأحايين للمربية أو الخادم التى أمضت مدة زمنية طويلة فى بيت مخدومها للدلالة على أنها أصبحت موضع ثقة الأسرة كما لو كانت عضوا فيها.

خطة الإمام إبراهيم فى القضاء على خصومه:

أخذت الدعوى العباسية فى الانتشار بخراسان، وأراد الإمام إبراهيم أن يثبت أركانها ويحد من تجمعات المناهضين لها، فأرسل إلى أبى مسلم كتابا يشرح له فيه كيف يتخذ منهجه فى القضاء على منافسى الدعوة العباسية حيث قال: " . . . انظر إلى هذا الحى من اليمن فالزمهم، واسكن بين أظهرهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم، واتهم ربيعة فى أمرهم، وأما مضر فإنهم العدو القريب الدار، فاقتل من شككت فيه، وإن استطعت ألا تدع لسانا عربيا فى خراسان فافعل، وإن أشكل عليك أمر فاكتفى به منى". والدارس لمحتويات هذا الكتاب يقف بوضوح على الحالة السياسية السيئة وتأجج نار العصبية بين المضرية واليمنية فى خراسان، وسوف يعمد أبو مسلم إلى إشعال هذه النار وتأججها حتى يتم له سقوط دولة الأمويين، ونجاح دعوة العباسيين.

فى وسط هذا الجو المشحون بالخلافات والفتن المتأججة بين اليمنية بزعامة أسد بن عبد الله القسرى، الذى كان واليا على خراسان من قبل الأمويين، والذى مال إلى اليمنية وأسند إليهم كل مناصب الولاية. فلما ولى نصر بن سيار أمر خراسان وكان مضريا عزل اليمنية واستعان بعصبته من المضرين. وكان نصر بن سيار والكرمانى على حالة من الصفاء والوفاق نظرا لأن الكرمانى قد أحسن إلى نصر فى ولاية أسد بن عبد الله القسرى على خراسان لأن الكرمانى كان أشبه ما يكون برئيس المدينة فى خراسان. فلما ولى نصر بن سيار عزل الكرمانى عن منصبه لأخبار بلغته عنه، ثم أعاده، ثم عزله ثم أمر بحبسه. ولكن أتباع الكرمانى أخرجوه من سجنه عن طريق فتحة ثقوبها وفروا به هاربين.

موقف الكرمانى من الدعوة للعباسيين:

قوى نفوذ أبى مسلم وازداد خطره وكان موقف الكرمانى وإتباعه بالنسبة له موقفا سلبيا فهم لا يكرهون أن يتحقق ما يدعو إليه أبو مسلم من إسقاط الخليفة الأموى مروان بن محمد من الخلافة. فربما عاد عليهم هذا الأمر بأحسن مما هم فيه. وفى هذه الأثناء حاول نصر بن سيار أن ينضم إليه شيبان الحرورى الساعد الأيمن للكرمانى، ولكنه أخفق فى مسعاه. وكان أبو مسلم قد أرسل النضر بن نعيم الضبى - أحد أعوانه - إلى مدينة هراة، وكان عليها عيسى بن عقيل الليثى عاملا لنصر بن سيار، فطرده منها، وخرج عيسى مهزوما وتوجه إلى نصر بن سيار وأخبره.

خشى أتباع الكرمانى على أنفسهم أمام قوة أبى مسلم المطردة، فلجئوا إلى مصالحة نصر بن سيار وتوحدت كلمتهم للوقوف فى وجه أبى مسلم. وعلم أبو مسلم بما حدث فعمل على تفريق كلمة العرب ليسهل عليه ضربهم، والتغلب عليهم، ونجح فى أن يخرج الكرمانى وجموعا من أتباعه من الصف العربى، ويحدث فجوة كبيرة فى الاتفاق الذى تم بين نصر بن سيار والكرمانى وشيبان الحرورى، فقد أرسل أبو مسلم إلى الكرمانى من يذكره بما فعله نصر بن سيار بأبيه حيث قتله وصلبه، وقال له: "يقول لك أبو مسلم: أما تأنف أن تصالح نصرا وقتل بالأمس أباك وصلبه، ما كنت أحسبك تجتمع مع نصر فى مسجد تصليان فيه" فألهبت الحفيظة صدر الكرمانى على نصر، فانسلخ عنه وانضم إلى أبى مسلم الخراسانى.

وهكذا استطاع أبو مسلم بمهارته، ودهائه أن يبعث هذا الانقسام ويستغله لصالحه فاستمال اليمنية إليه، لضرب كل فريق بالآخر.

ضرب أبو مسلم معسكره ظاهر مدينة مرو عاصمة خراسان وظل ثلاثة أشهر نشط فى خلالها فجذب ألوف الموالى الخراسانيين حوله، وتمكن من الاستيلاء على أجزاء من هذه البقاع دون أن يدخل فى حرب مع خصومه.

نصر بن سيار يستمد مروان:

أحس نصر بن سيار والى خراسان بمدى خطورة موقفه، وتغلغل الدعوة العباسية فى البلد التى يتولى أمرها، وكان نصر آخر الولاة المخلصين للدولة الأموية، فرأى أن يطلب العون من مروان بن محمد، ويشرح له الأمور فكتب إليه قوة أبى مسلم وكثرة جنده: وتخوفه أمام هذه الحشود الهائلة، وختم كتابه بالأبيات الآتية:

أرى بين الرماد وميض جمر يوشك أن يكون له ضرام
فإن لم يطفئها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
فإن النار بالعودين تذكى وأن الحرب أولها كلام
أقول من التعجب ليت شعرى أأيقاظ أمية أم نيام
فإن يك قومنا أضحوا نياما فقل قوموا قد حان القيام

ولكن مروان كان مشغولا بحروب الخوارج فى العراق، وبإخماد بعض الفتن فى الشام، فكتب إلى نصر بن سيار يقول له: "إن الحاضر يرى مالا يرى الغائب فاحسم أنت هذا الدواء ظهر عندك".

وكذلك أرسل نصر بن سيار كتابا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة، وإلى العراق من قبل الأمويين، يستمد منه العون والمساعدة ولكن يزيدا كان هو الآخر مشغولا بما لديه من فتن الخوارج. ولما تأكد أبو مسلم من قوته بعد تنظيم جيوشه، وتجهيز عسكره وتحصين موقعه، أعد عدته وأرسل إلى نصر بن سيار كتابا جرح فيه مشاعره وهدده بزوال ملك الأمويين فى خراسان، وكبر على نصر أن يتلقى من أبى مسلم مثل هذا الكتاب: وأراد أن يكون رده عمليا، فأرسل جيشا لمحاربته ولكن الجيش أصيب بالهزيمة، ووقع قائده وهو مولى لنصر بن سيار، ويسمى يزيدا، وقع أسيرا بعد أن جرح فعامله أبو مسلم معاملة طيبة، ثم خيره البقاء عنده أو الذهاب إلى نصر، فاختار يزيد العودة إلى نصر، ولكن أبا مسلم أخذ عليه عهدا ألا يقول عنه إلا ما رآه حقا، وكان أبو مسلم يرى أن عودة يزيد فيها فائدة

كبيرة له ولجنوده لأنه سيرد عنهم أهل التقى والورع الذين كانوا يظنون أن أبا مسلم وجنوده من المجوس وأن حركتهم ضد الإسلام والمسلمين.

فى هذه الأثناء أرسل الإمام إبراهيم قحطبة بن شبيب إلى أبى مسلم، وعقد له لواء فلما وصل إلى أبى مسلم جعله على مقدمة الجيوش كلها، وجعل له العزل والاستعمال وكتب إلى الجنود بالسمع والطاعة له.

هزيمة نصر بن سيار:

لم يلبث أبو مسلم أن دفع الألوية السود إلى قواده، وأمرهم بالهجوم على نصر بن سيار وجيشه، واستعمل أبو مسلم دهاءه فى هذه الحرب حتى لا يفقد الكثير من جنوده فطلب من الكرمانى أن يبدأ مع عساكره بالهجوم على أن نصر بن سيار ليبرهن على صدق نواياه وإخلاصه فى انضمامه إلى أبى مسلم: ونفذ الكرمانى ما طلب منه، ولما حمى وطيس القتال واشتدت وطأته على الفريقين دخل أبو مسلم بجنوده مدينة مرو، وزحف على دار الإمارة فدخلها يوم الخميس ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٠هـ/ ديسمبرسنة٧٤٧م، وهو يتلو الآية الكريمة "ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من شيعته وهذا من عدوه". ثم أمر كلا من الفريقين بالتوقف عن القتال، ودخول معسكره.

أحس نصر بن سيار بالهزيمة السياسية والعسكرية بعد أن فشل فى توحيد كلمة العرب، وضمهم جميعا فى صفوفه للوقوف أمام خطر الموالى الجارف، فهو لم ينجح فى إيقاظ الخليفة مروان بن محمد أمام تحركات أبى مسلم ولم ينجح فى تحريك ابن هبيرة ليمد له يد العون والمساعدة، وها هو يتلقى مرارة الهزيمة أمام أتباع أبى مسلم، فكان لابد له من الفرار، ففر وليس معه إلا ولده وزوجته، وحاجبه: والحكم بن نميلة النميرى فترك زوجته وولده تميما فى قرية يقال لها النصرانية وهرب بنفسه، فوصل إلى قومس فنزلها ومنها اتجه إلى الرى فأقام بها أياما، ثم مرض مرضا شديدا فحمل إلى ساوه بالقرب من همذان حيث مات هناك ويقال أنه مات فى الطريق وهو ذاهب إلى الرى وكان فى الخامسة والثمانين من عمره.

القضاء على زعماء اليمنية:

اطمأن أبو مسلم إلى حد كبير إلى ما أحرزه من انتصار، فبدأ يتخلص من زعماء اليمنية الذين تحالفوا معه ويساعده ضد المضرية وحاربوا نصر بن سيار، قد أرسل عثمان عثمان شقيق الكرمانى إلى بلخ ليكون عاملا عليها، ثم ما لبث أن أرسل رجلا من أتباعه يقال له أبو داود قتل عثمان وأصحابه جميعا، وكذلك قام أبو مسلم الخراسانى بقتل الكرمانى بعد أن لجأ إلى مكيدة ليتخلص بها من كل أعوانه والمقربين إليه حيث تظاهر بالرضا والامتنان لمساعدتهم الفعالة، وطلب من زعيمهم الكرمانى أن يسمى له خاصته ليوليهم أعمالا ويأمر لهم بجوائز وكساوى فلما سماهم الكرمانى له قتلهم أبو مسلم ثم الكرمانى معهم.

أخذ أبو مسلم يواصل زحفه حتى دانت له خراسان كلها، ثم أرسل إلى الإمام إبراهيم كتابا يخبره فيه نبأ انتصاراته، وما أصبح عليه الوضع فى خراسان ولسوء حظ الإمام إبراهيم وقع حامل هذا الخطاب فى يد بعض أتباع الخليفة مروان الذين دسهم فى الطرقات ليقفوا على خبر الإنسان الذى يدبر هذه الفتن، وليعرفوا لصالح من تكون هذه الثورات وأحضر حامل الكتاب أمام مروان وهو مرتاع، ولكن مروان هدأ من روعه، ودفع إليه مالا كثيرا، وطلب إليه أن يسلم الكتاب إلى الإمام إبراهيم وإلا يخبره بشئ مطلقا وأن يتلقى منه الرد ويأتى به إليه وفعل الرجل ذلك وتأمل مروان جواب إبراهيم إلى أبى مسلم، وكان بخط يده وفيه يأمر أبا مسلم بالاجتهاد والحيلة على عدوه: وأن يقتل من يتشكك فيه توا بخراسان. . . . إلخ.

فكتب مروان من الجزيرة إلى عامله على دمشق الوليد بن معاوية بن عبد الملك أن يكتب إلى عامل البلقاء ليسير إلى الحميمة، ويقبض على إبراهيم بن محمد بن على، ويشد وثاقه ويبعث به إليه فى خيل كثيف، وتم فعلا ما أمر به مروان فى أول عام ١٣٢هـ، وأودع الإمام إبراهيم السجن فى حران، ولبث به حتى مات بالطاعون وقيل أنه مات مقتولا بلبن مسموم.

شعر الإمام إبراهيم بقرب نهائية على يد مروان، فعهد إلى أخيه أبى العباس عبد الله بن محمد بمواصلة السير بالدعوة، وعقد له الإمامة من بعده، وأمره بالمسير إلى الكوفة وأمر أهل بيته بالمسير معه ونصحهم بالسمع والطاعة له.

سار أبو العباس وفى صحبته أخوه أبو جعفر المنصور، وأعمامه عبد الله بن محمد: وداود بن عيسى، وصالح وإسماعيل وأخوتهما من أبناء على وغيرهم، فقدموا الكوفة فى صفر سنة١٣٢هـ، ونزلوا على أبى سلمة الخلال، وهو حفص بن سليمان السبيع، القائم بأمر الدعوة لآل البيت فى الكوفة، وكان يلقب وزير آل محمد فأنزلهم أبو سلمة بدار الوليد بن سعد مولى بنى هاشم فى مكان يسمى (بنى داود) وكتم أمرهم عن الناس والدعاة والقادة نحوا من الأربعين يوما.

فى خلال هذه الفترة كانت الانتصارات التى أحرزها أبو مسلم الخراسانى قد دفعته إلى تسيير جيوشه إلى العراق بقيادة قحطبة بن شبيب الطائى، وتمكنت هذه الجيوش من هزيمة يزيد بن عمر بن هبيرة حاكم الكوفة من قبل الأمويين ومعه القائد حوثرة بن سهيل الباهلى، وكان مروان أمد بن هبيرة به. وتقهقر يزيد بن هبيرة إلى جلولاء، ومنها إلى مكان فى شرق الفرات على بعد ثلاثة وعشرين فرسخا من الكوفة ووفاه حوثرة فى جموع من الجند تقدر ما بين خمسة عشر ألفا وعشرين ألفا، وعبر قحطبة وجنوده النهر من مخاضة دلهم عليها إعرابى: ونزل فى مكان يقال له الجبارية ووزع الأرزاق على جنوده ليدفعهم إلى القتال والاستبسال فيه. وفى غسق الليل هاجم قحطبة خصمه ابن هبيرة فى ليلة التاسع من المحرم سنة١٣٢هـ، وأصيب ابن هبيرة ومن معه بالهزيمة، واضطروا إلى الانسحاب فارين إلى واسط بينما لجأ حوثرة وأتباعه إلى قصر ابن هبيرة يحتمون فيه بعد أن تركه، وفى الصباح بحث جنود خراسان عن قائدهم قحطبة بن شبيب الطائى، ولكنهم وجدوه قتيلا على حافة جدول من الماء، فدفنوه، وولوا ابنه الحسن بن قحطبة قائدا عليهم.

حاول حوثرة التصدى لجند خراسان، ولكنه فوجئ بجموع من أهل الكوفة بزعامة محمد بن خالد بن عبد الله القسرى تعلن انضمامها إلى العباسيين وترفع الرايات السوداء شعارهم، فانهزم حوثرة واضطر إلى الرحيل ليلحق بابن هبيرة فى واسط.

دخل الحسن بن قحطبة وجنده إلى الكوفة وأخذ يسأل عن أبى سلمة الخلال حتى دل عليه، فبايعوه بالإمارة على الكوفة، ولكنه استعمل محمد بن خالد القسرى عليها: وهكذا أصبح أبو سلمة الخلال واليا على الكوفة لمركزه وجهاده وماله الذى أنفق معظمه على الدعوة لآل البيت، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الكوفة ملتقى جيوش الدعوة العباسية المنتصرة والزاحفة من خراسان، والداعية لآل البيت، ومركزا لآل البيت العباسى أنفسهم الفارين من الحميمة هربا بحياتهم، بعدما عرف الخليفة الأموى مروان سر الدعوة التى كانوا يبثونها سرا تحت ستار الرضا من آل البيت، واتجاهاتهم نحو إقامة دولة جديدة تنسب إليهم.

وصلت جيوش خراسان إلى الكوفة وهى لا تعلم عن وصول بنى العباس إليها، وعلى الرغم من المواقف العديدة لأبى سلمة الخلال فى نصرة الهاشميين ونشر دعوتهم، وتنقلاته الكثيرة إلى خراسان، والإشراف على سير الدعوة هناك، إلا أنه تصرف مع بنى العباس تصرفا غامضا حين أخفاهم عن أعين الناس ومنع الاتصال بهم: ولم يعطوهم ما طلبوه من مال قليل (مائة دينار) ليدفعوه أجرا للجمال الذى نقلهم إلى الكوفة، مما جعل جمهرة من المؤرخين يعتبرون عمله هذا تعثرا وزلة، وإن كان البعض ينظر إلى هذا العمل بأنه خيانة للعباسيين الذين اطمأنوا إليه وأسلموا له قيادهم، ويبدوا لى أن الأمر اختلط عليه لأن الدعوة كانت توجه تحت شعار الرضا من آل بيت النبى، وأن أبا سلمة الخلال أراد أن يكون له فضل اختيار الخليفة من العلويين لاعتقاده فيما كانوا يقولون بأحقيتهم فى الخلافة لأنهم آل البيت النبى ﷺ.

ونتيجة لهذا الاعتقاد، ولهذا الحماس، ولهذا الحرص على أن يكون له فضل اختيار الخليفة، كتب إلى ثلاثة من كبار رجال العلويين هم: جعفر الصادق: وعبد الله بن الحسن بن على، وعمر بن زين العابدين، وكان أبو سلمة الخلال يأمل أن يستجيب له أحدهم بقبول الخلافة على يديه ولكنهم رفضوا جميعا تشككا فيه، وكان من الممكن أن يواصل أبو سلمة الخلال كتاباته إلى غيرهم حتى يستجيب له أحد الراغبين فى الخلافة من البيت العلوى، لولا أن الظروف كشفت ما أضمره حين التقى أحد قادة الجيش الخراسانى وهو أبو حميد محمد بن إبراهيم

السمرقندى بغلام اسمه سابق الخوارزمى، كان قد بعث به هدية من هؤلاء القادة إلى الإمام إبراهيم ليقوم على خدمته، وقص الغلام على بن أبى حميد مقتل الإمام إبراهيم على يد مروان بن محمد، وأنه قد أوصى إلى أخيه أبى العباس واستخلفه من بعده، وأن أبا العباس قدم الكوفة مع أهل بيته، وأنه جاء معهم، وأراد أبو حميد السمرقندى أن يتأكد من هذه الأخبار، فتوجه مع هذا الغلام إلى حيث يسكن العباسيون فدخل عليهم فى غيبة أبى سلمة الخلال: وعزاهم فى وفاة الإمام إبراهيم ثم سأل عن عبد الله بن محمد بن الحارثية، فأشاروا له على أبى العباس فسلم عليه بالخلافة، وقبل يده ورجله وبايعه، ثم خرج فأعلم زملاءه القواد المعسكرين بظاهر الكوفة، فى مكان يسمى حمام أعين، فأجمعوا على الذهاب إلى أبى العباس ومبايعته، فلما عرف أبو سلمة الخلال بهذه الأخبار ذهب مسرعا مع بعض أتباعه إلى أبى العباس، ولكن القادة الخراسانيين كانوا قد سبقوه وأعطوا بيعتهم إلى أبى العباس بالخلافة، وأحاطوا به كحاشية له، وبذلك قوى مركزه، وفى هذه الأثناء وصل أبو سلمة الخلال بمن معه من الأتباع وأراد الدخول على أبى العباس فمنع من ذلك: حتى يأذن الخليفة له، ولكن أبا العباس لم يسمح له بالدخول عليه إلا منفردا، ولما دخل عنده أسمعه ما يكره وأنكر بعض أصحابه عليه هذا الصنيع خاصة وأنهم كانوا يدعونه وزير آل محمد ﷺ وحاول أبو سلمة الاعتذار عما بدر منه، فقبل يد أبى العباس ورجليه وأخذ يكرر الاعتذار، وكان من الطبيعى ألا يخسر أبو العباس رجلا مثل أبى سلمة كان له مواقفه فى خدمة الدعوة بجهده وماله وفكره، وليس من المعقول أن يبدأ حكمه بإظهار مثل هذا الاختلاف بينه وبين وزير آل البيت فتظاهر بقبول الاعتذار، وقال له: "عذرناك يا أبا سلمة غير مفند، وحقك لدينا معظم، وسابقتك فى دولتنا مشكورة وزلتك مغفورة، انصرف إلى معسكرك حتى لا يدخله خلل".

والحقيقة أن أبا العباس تظاهر بهذا العفو، لأنه كان لا يزال فى حاجة إلى مساعدة أبى سلمة الخلال وتأييده، ولكنه سوف ينتهز الفرصة بعد ذلك لكى يتخلص منه فبعد ما بايعه الناس بالخلافة، واستقرت له أمورها، أراد أن يتخلص من أبى سلمة باعتباره خائنا أراد أن يبدد جهد بنى العباس وآمالهم فى الخلافة ولكن عمه داود بن على راجعه فى ذلك وقال له: "إن فعلت ذلك فربما استوحش

منك مسلم، والأفضل أن تكتب إليه تعرفه ما كان من أبى سلمة". فكتب أبو العباس لأبى مسلم بما حدث وختم الكتاب بقوله: "إننى قد وهبت جرمه لك" فلما قرأ أبو مسلم الكتاب فطن إلى غرض أبى العباس، فأرسل بضع نفر من أتباعه على رأسهم المرار بن أنس الضبى ليقتلوا أبا سلمة الخلال. ويبدوا أن أبا العباس أراد أن ينقض يديه من هذه الفعلة فبعث من يعلم الناس فى الكوفة أن أمير المؤمنين قد رضى عن أبى سلمة الخلال، ثم دعاه قبل مقتله بيوم واحد حيث أكرمه، وسهر معه وخلع عليه، وعند انصراف أبى سلمة الخلال إلى داره فى جوف الليل اعترضه المرار الضبى ورجاله فقتلوه، ولم يدر بهم أحدا، وأشاعوا أن الخوارج قتلوا أبا سلمة، وقاموا بدفنه فى الهاشمية فى رجب سنة١٣٢هـ.

***